

دروس من سورة النساء 2

الظروف الطارئة فرقت بين أبناء «النفس» الواحدة ومزقت وشائج الرحم

العناية بالأسرة في النظام الإسلامي.. وما كان يمكن أن يقوم للأسرة بناء قوي، والمرأة تلقى تلك المعاملة الجائرة، وتلك النظرة الهابطة التي تلقاها في الجاهلية - كل جاهلية - ومن ثم كانت غناية الإسلام بدفع تلك المعاملة الجائرة ورفع هذه النظرة الهابطة.

5 - وأخيرا النظرة إلى التنوع في خصائص الأفراد واستعداداتهم -يعد بهم من نفس واحدة واسرة واحدة - على هذا لدى الواسع، الذي لا يتماثل فيه فردان قط تمام التماثل، على توالي العصور، وفيما لا يحصى عدده من الأفراد في جميع الأجيال.. التنوع في الأشكال والسمات واللامح.. والتنوع في الطباع والأمزجة والأخلاق والمشاعر.. والتنوع في الاستعدادات والاهتمامات والوظائف.. إن النظرة إلى هذا التنوع المنطق من ذلك التجمع تظهر القدرة المبدعة على غير مثال، المبدرة عن علم وحكمة، وتطلق القلب والعين بجولان في ذلك المتحف الصي العجيب، يلمعين ذلك الحشد من المتماذج التي لا تنفد، والتي دائما تتجدد، والتي لا يقد عليها إلا الله، ولا يحرق أحد على نسبته لغير الله، فالإرادة التي لا حد لها تريد، والتي تفعل ما تريد هي وحدها التي تملك هذا التنوع الذي لا ينتهي، من ذلك الأصل الواحد القدير!

والتعامل في «الناس» على هذا النحو كفيل بأن يمنح القلب زادا من الأناش والمناق، فوق زاد الإيمان والتقوى.. وهو كسب فوق كسب، وارتقاء بعد ارتفاع!

وفي ختام آية الافتتاح التي توحى بكل هذه الصسوس، من الخواطر، يرد «الناس» إلى تقوى الله، الذي يسأل بعضهم بعناية، وإلى تقوى الأرحام التي يرجعون إليها جميعا.

(واقفوا لله الذي تساءلون به والأرحام)..

واقفوا لله الذي تتعاملون باسمه، وتتعاقدون باسمه، ويسال بعضكم بعضا لبعض باسمه، ويخلف بعضهم لبعض باسمه..انقووه فيما بينكم من الشوائج والصلات والمعاملات.

وتقوى الله مفهومة ومعروفة لتكرارها في القرآن أما تقوى الأرحام، فهي تعبير عجيب، يلقي ظلاله الشعورية في النفس، ثم لا يكاد الإنسان يجد ما يشرح به تلك الظلال ! انقوا الأرحام أرغفوا مشاعركم لإحساس بوشائجها والإحساس ببقها وتوقي هضمها وظلمها، والتخرج من خدشها ومسيها.. توقوا أن تؤذوها، وأن ترحوها، وأن تخفسيوها..أرغفوا حساسيتكم بها، وتوقيركم لها، وحذيتكم إلى نهاها وظلها.



لأمر يعلمه ولحكمة بقصدما، أن يضاعف الشوائج فبيدا بها من وشيجة الربوبية -وهي أصل وأول الشوائج -ثم يثني بوشيجة الرحم، فنقوم الأسرة الأولى من ذكر وأنثى- هما من نفس واحدة وطبيعة واحدة وفطرة واحدة- ومن هذه الأسرة الأولى يثت رجالا كثيرا ونساء، فكلهم يرجعون ابتداء إلى وشيجة الربوبية، ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة التي يقوم عليها نظام المجتمع الإنساني بعد قيامه على أساس العقيدة.

ومن ثم هذه الرعاية للأسرة في النظام الإسلامي، وهذه العناية بتوثيق عراها، وتثبيت بنائها، وحمايتها من جميع المؤثرات التي توهن هذا البناء - وفي أول هذه المؤثرات مجانبة الفطرة، وتجاهل استعدادات الرجل واستعدادات المرأة وتناسق هذه الاستعدادات مع بعضها البعض، وتكاملها لإقامة الأسرة من ذكر وأنثى، وفي هذه السورة وفي غيرها من السور حشد من مظاهر تلك

فترة من الزمان، تحت تأثير تصور سخيف لا أصل له، فلما أن أرادت معالجة هذا الخطأ الشنيع اشتغلت في الضفة الأخرى، وأطلقت للمرأة العنان، ونسبت أنها إنسان خلقت لإنسان، ونفس خلقت لنفس، وشعر مكل لشعر، وأنها ليسا فريدين متماثلين، إنما هما زوجان متكاملان.

والمنهج الرباني القويم يرد البشرية إلى هذه الحقيقة البسيطة بعد ذلك الضلال البعيد..

4 - كذلك توحى الآية بأن قاعدة الحياة البشرية هي الأسرة فقد شاء الله أن تبدأ هذه التثبيت في الأرض بأسرة واحدة فخلق ابتداء نسا واحدة، وخلق منها زوجها فكانت أسرة من زوجين (ويث منهما رجالا كثيرا ونساء)..ولو شاء الله لخلق - في أول التثابة - رجالا كثيرا ونساء، وزوجهم، فكانوا السراشني من أول الطريق لا رحم بينهما من مبدأ الأمر ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إرادة الخالق الواحد وهي الوشيجة الأولى ولكنه -سبحانه- شاء

■ الآيات تؤكد عدم وجود فارق بين الرجال والنساء في الأصل والفطرة وإنما في الاستعداد والوظيفة

■ الأسرة قاعدة الحياة البشرية ويقوم عليها نظام المجتمع الإنساني بعد بنائه على أساس العقيدة

أدركتها البشرية - أن توغر عليها تلك الأخطاء الأليمة، التي تردت فيها، وهي تتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة، وترأها منبع الرجس والتجاسة، وأصل الشر والبلاء.. وهي من النفس الأولى فطرة وطبعاً، خلقها الله

الذي ذاقته منه البشرية ما ذاقته، ولا تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة، في الجاهلية الحديثة، التي تفرق بين الآلون، وتفرق بين العناصر، وتلقب كيانها على أساس هذه التفرقة، وتذكر النسبة إلى الجنس والقوم، وتنسى النسبة إلى الإنسانية الواحدة والربوبية الواحدة.

واستقرار هذه الحقيقة كان

كفيلاً كذلك باستعداد الاستعداد الطبقي السائد في وثنية الهند والصراع الطبقي، الذي تسيل فيه الدماء أنهاراً، في الدول الشيوعية، والذي لا تزال الجاهلية الحديثة تعتبره قاعدة فلسفتها المادية، ونقطة انطلاقها إلى متأخرة، ففرقت بين أبناء «النفس» الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة وكلها ملايسات طارئة ما كان يجوز أن تطلق على مودة الرحم وحققها في الرعية، وصله النفس وحققها في المودة، وصله الربوبية وحققها في التقوى.

3 - والحقيقة الأخرى التي تتضمنها الإشارة إلى أنه من النفس الواحدة (خلق منها زوجها).. كانت كفيلة - لو

فيمها وموازينها عند الاختلاف في شأن من هذه الشؤون، فيرجعون إلى النهج الواحد الذي إرادته الله رب العالمين.

2 - كما أنها توحى بأن هذه البشرية التي صدرت من إرادة واحدة، تتصل في رحم واحدة، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتتلاق من أصل واحد، وتتسب إلى نسب واحد:

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منها رجالا كثيرا ونساء)..

ولو تذكر الناس هذه الحقيقة، لتضاعلت في حسم كل الفروق الطارئة، التي نشأت في حياتهم متأخرة، ففرقت بين أبناء «النفس» الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة وكلها ملايسات طارئة ما كان يجوز أن تطلق على مودة الرحم وحققها في الرعية، وصله النفس وحققها في المودة، وصله الربوبية وحققها في التقوى.

باستعداد الصراع العنصري،

ولو تذكر الناس هذه الحقيقة البديعية التي يغفلون عنها لتأبوا إلى الرشد من أول الطريق.

إن هذه الإرادة التي جاءت بهم إلى هذا العالم، وخطت لهم طريق الحياة فيه، ومنحتها القدرة على التعامل معه، فهي وحدها التي تملك لهم كل شيء، وهي وحدها التي تدبر أمرهم خير تدبير وإثنا فهي وحدها صاحبة الحق في أن ترم لهم منبع حياتهم، وأن تشرع لهم أنظمتهم وقوانينهم، وأن تضع لهم قيمهم وموازنيتهم وهي وحدها التي يرجعون إليها وإلى منهجها وشريعتها وإلى

باعتبار الصراع العنصري،

باعتبار الصراع العنصري،

حسب دراسة أعدتها مؤسسة الأبحاث البريطانية «فيث ماترز»

كلما كثر الهجوم على الإسلام زاد عدد معتقيه

أظهرت إحصائيات جديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

وقد نشرت الإحصائيات الجديدة أن أعداد البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام في العقد الأخير (2001-2010) قد تضاعفت تقريبا مقارنة بمداية العقد المنصرم، أي عام 2001، ما يؤكد مقولة انتشرت منذ هجمات سبتمبر 2001 على مستوى العالم مفادها أنه كلما زاد الهجوم على الإسلام كلما زاد عدد معتقيه!

للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بحث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سفلت يرب في يد العدو.

وبميل الأساتذ دروزة إلى أن فتح مجال للدعوة في الحبشة كان سببا من أسباب هجرة الحبشة حيث يقول: «بل إنه يخمطر بالبال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة الصراينة أمل وجود مجال للدعوة فيها، وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلا بهذا الأمر».. وذهب إلى هذا القول د.سليمان بن حمد العودة؛ ومما يدعم الرأي القائل بأن الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سببا وهذا من أسباب الهجرة، إسلام التجاشي، وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأسر آخر، فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه لبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خبر بامر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، وفي صحيح البخاري: فقال جعفر: «للاشعريين - حين وفوه بالحبشة: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فاقبموا معنا».

للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بحث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سفلت يرب في يد العدو.

وبميل الأساتذ دروزة إلى أن فتح مجال للدعوة في الحبشة كان سببا من أسباب هجرة الحبشة حيث يقول: «بل إنه يخمطر بالبال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة الصراينة أمل وجود مجال للدعوة فيها، وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلا بهذا الأمر».. وذهب إلى هذا القول د.سليمان بن حمد العودة؛ ومما يدعم الرأي القائل بأن الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سببا وهذا من أسباب الهجرة، إسلام التجاشي، وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأسر آخر، فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه لبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خبر بامر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، وفي صحيح البخاري: فقال جعفر: «للاشعريين - حين وفوه بالحبشة: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فاقبموا معنا».

للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بحث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سفلت يرب في يد العدو.

وبميل الأساتذ دروزة إلى أن فتح مجال للدعوة في الحبشة كان سببا من أسباب هجرة الحبشة حيث يقول: «بل إنه يخمطر بالبال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة الصراينة أمل وجود مجال للدعوة فيها، وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلا بهذا الأمر».. وذهب إلى هذا القول د.سليمان بن حمد العودة؛ ومما يدعم الرأي القائل بأن الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سببا وهذا من أسباب الهجرة، إسلام التجاشي، وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأسر آخر، فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه لبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خبر بامر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، وفي صحيح البخاري: فقال جعفر: «للاشعريين - حين وفوه بالحبشة: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فاقبموا معنا».

للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بحث في طلب المهاجرين من الحبشة، ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سفلت يرب في يد العدو.

وبميل الأساتذ دروزة إلى أن فتح مجال للدعوة في الحبشة كان سببا من أسباب هجرة الحبشة حيث يقول: «بل إنه يخمطر بالبال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة الصراينة أمل وجود مجال للدعوة فيها، وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلا بهذا الأمر».. وذهب إلى هذا القول د.سليمان بن حمد العودة؛ ومما يدعم الرأي القائل بأن الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سببا وهذا من أسباب الهجرة، إسلام التجاشي، وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأسر آخر، فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه لبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خبر بامر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، وفي صحيح البخاري: فقال جعفر: «للاشعريين - حين وفوه بالحبشة: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فاقبموا معنا».